حول جدل فى الجامعة

قرأت اليوم وأنا بريف الشرقية حديثاً للأستاذ الفاضل « العباس » تحت عنوان « جدل فى الجامعة »

ولما كان هذا الحديث يخصنى لأنه يدور حول رسالة قدمتها كتبت هذا إليكم رجاء التفضل بنشر هذه الكلمة ليقف القراء على جلية الأمر وليعرفوا الخطأ من الصواب .

وقبل أن أبدأ الحديث ألفت الذهن إلى أنه ليس من الحق فى شىء أن الأستاذ أحمد أمين قد عاب الرسالة لضعف فى منهجها ولا لإنكار ما فيها من حقائق علمية ، ولقد كان كل ما صنعه أن لفت ذهن الجامعة إلى أن مناقشة الرسالة قد تثير ضجيجاً لما فيها من أفكار وآراء .

يتلخص موقف الأستاذ أحمد أمين فى هذه المسألة وهو فى هذه يعتبر متضامناً مع الأستاذ الشايب ومن هنا يكون حديثى مع واحد منهما حديثاً مع الآخر .

وإذا كان الذى يهم الجمهور من هذه المسألة هى المسألة الدينية فقد قصرت حديثى عليها ليرى القراء أن ما قلته فى الرسالة هو الذى يتفق مع الدين ويجرى ومقاصده .

وأحب أن يعلم القراء أنى قد التزمت فى هذه الرسالة أمرين

الأول : — ألا أثبت حقيقة ينكرها الدين وسجلت ذلك فى الرسالة حيث قلت فى ص ٢١ ما نصه [وأعتقد أن من حقنا أن نقف وقفة قصيرة نشرح فيها هذه العلاقات لنقدر ما فى القرآن من معان تاريخية تقديراً لا ينكره الدين] انتهى بنصه .

الثانى : — أنى التزمت فى استنباط ظواهر القصص القرآنى طريقة الاستقراء ومن هنا كانت كل حقيقة أدبية أثبتها مستمدة من القرآن الكريم . ولقد سجلت ذلك أيضاً على نفسى حيث قلت فى الرسالة ص ٢٣ « والآن نستطيع أن ننتقل إلى الجو القرآنى لنبحث ما فى قصصه من أشياء تاريخية . وقبل البدء بنظر فى اعتراض قد يستثار ذلك لأن ما قررناه من صلة بين التاريخ والقصة يعتمد على ظاهرات فى القصص لوحظت حديثاً وقررت على أنها بعض التقاليد الأدبية التى تصور ما للقاص من حرية والقرآن أقدم من هذه الملاحظات للظواهر وهذه المقررات للتقاليد على أنها لو كانت قديمة لا تلزم القرآن فى شىء إذ لكل قاص مذهبه وطريقته ولكل خالق حريته فى الخلق والابتكار ولن يقرر ما فى القرآن من قيم إلا واقع أدبى التزمه القرآن نفسه أو على أقل تقدير حرص عليه وهو قول له وجاهته فيما نعتقد ثم هو يلزمنا أن نبحث طريقة القرآن من واقعه العملى »

وعلى هذين لا يتصور متصور أن يكون القصد من الرسالة الخروج على الدين أو القول بما ينكره .

ولقد قلت فى الرسالة إن قصد القرآن من قصصه لم يكن إلا العبرة والعظة وليس منه مطلقاً تعليم التاريخ أو شرح حقائقه ومن المعروف دينياً ألا نستنتج من نص قرآنى أمراً لم يقصد إليه القرآن .

على أن هذا القول قد قال به الأستاذ الإمام ، وقد نقله عنه صاحب المنار فى مواطن كثيرة من كتابه فقد جاء فى الجزء التاسع ص ٣٧٤ طبع سنة ١٣٤٢ هـ ما يأتى « إن الله تعالى أنزل القرآن هدى وموعظة ، وجعل قصص الرسل فيه عبرة وتذكرة لا تاريخ شعوب ومدائن ولا تحقيق وقائع ومواقع »

وجاء فى الجزء الثانى ص ١٠٥ طبع سنة ١٣٥٠ هـ ما يأتى « فإن قيل إن التاريخ من العلوم التى يسهل على البشر تدوينها والاستغناء بها عن الوحى فلماذا كثر سرد الأخبار التاريخية فى القرآن وكانت فى التوراة أكثر ؟

والجواب ليس فى القرآن شىء من التاريخ من حيث هو قصص وأخبار للأمم أو البلاد لمعرفة أحوالها ، وإنما هى الآيات

وعلى الرؤساء أن يواجهوا الأمور بصرامة وحزم فيأخذوا البرى بالمجرم حتى تستقيم قناة الجميع ، ولا نكون متمنين إذا طالبنا وزارة المعارف بأن تحرم الدروس الخصوصية على كل مدرسيها مهما كانت الأسباب الداعية لذلك ، كما نطالب المدرسين بأن يدرسوا الكتب المقررة ، وأن يزيدوا عليها ، وأن يدعوا هذا التهوين من شأن اللغة العربية وآدابها . . . حينئذ نقف فى أول الطريق لنمضى إلى الغاية ، وسنبلغ الهدف إن أخلصنا لواجبنا ، وراعينا حق الله والوطن واللغة فى هؤلاء الأبناء .

على العمارى
المدرس بالأزهر

والعبر تجلت فى سياق الوقائع بين الرسل وأقوامهم لبيان سنن الله تعالى فيهم إنذاراً للكافرين بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وتثبيتاً لقلبه وقلوب المؤمنين به (وسترى ذلك فى محله إن شاء الله تعالى) ولذلك لم تذكر قصة بترتيبها وتفاصيلها وإنما يذكر موضع العبرة فيها » انتهى بنصه .

على أن هذه المسألة قديمة ومن أجلها عد الأصوليون القصص القرآنى من المتشابه . ولقد نتج عن ذلك طريقتان فى التفسير طريقة السلف وطريقة الخلف .

أما الأولون فيذهبون إلى أن كل ما ورد فى القصص القرآنى من أحداث قد وقع .

وأما الآخرون فلا يلتزمون هذا وعلى طريقتهم جرى الأستاذ الإمام وهذا هو نص المنار فى وصف هذه الطريقة عند تفسيره لقصة آدم من سورة البقرة .

« وأما تفسير الآيات على طريقة الخلف فى التمثيل فيقال فيه إن القرآن كثيراً ما يصور المعانى بالتعبير عنها بصيغة السؤال والجواب أو بأسلوب الحكاية لما فى ذلك من البيان والتأثير فهو يدعو بها الأذهان إلى ما وراءها من المعانى » ص ٢٨٠ ج ١ طبع سنة ١٣٤٦ هـ

ويمضى صاحب المنار فى شرح هذه الحقيقة إلى أن يقول : قال الأستاذ الإمام ما مثاله . وتقرير التمثيل فى القصة على هذا المذهب هكذا . إن إخبار الله الملائكة بجعل الإنسان خليفة فى الأرض هو عبارة عن تهيئة الأرض وقوى هذا العالم وأرواحه . الخ القول إذاً بأن بعض القصص القرآنى قصص جىء بها لتمثيل المعانى قول معروف لدى رجال الدين وطريقة معروفة لدى المفسرين ، وجرى عليها إمام من أئمة الدين هو الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده .

جريت أنا على هذه الطريقة يدفعنى إليها غرض دينى هو تخليص القرآن من مطاعن اللاحدة والمستشرقين . وتفسير المسألة يرجع إلى أن هؤلاء يبحثون عن العلاقة بين القصص القرآنى والتاريخ اتفاقاً واختلافاً وينتهون من ذلك إلى أن فى القرآن أخطاء تاريخية .

أما موقفى فيتلخص فى أن الدراسة على هذا الأساس خاطئة لأن القصص القرآنى لا يدرس على أساس أنه قد جاء لتعليم التاريخ أو شرح حقائقه وذلك حيث قلت فى ص ٥ [كما نجد المستشرقين يلجون من نفس الباب فيطعنون على النبى والقرآن حين يوردون بعض الإعتراضات وحين يذهبون فى فهم القصص القرآنى مذهب أصحاب التاريخ فيبتعدون بذلك عن المذهب الحق فى فهمه وهو أنه قصص وقصص دينى يقصد منه غير ما يقصد من التاريخ .] مذهب الأستاذ إذا هو الذى يجنبنا كل هذه الأشياء ومن أجل هذا اعتمدته وجريت عليه .

ومن أجل هذا قد ينال القارىء العجب من أن يقف الأستاذان منى هذا الموقف . لكن للمسألة سراً قد يتضح لدى القارىء بعد قليل .

وتبقى بعد ذلك مسألة الأساطير .

وهى مسألة حلها القدماء من المفسرين وهو حل يجرى مع ما يقول به الأستاذ الإمام فى تفسير القصص القرآنى .

لقد فهم الرازى ما يقول به المحدثون من الأدباء من أن الأسطورة أداة من أدوات التعبير لا تقصد لذاتها وإنما تقصد لما تمثله من المعانى وتدعو إليه من الأغراض وذلك حيث يقول عند تفسيره لقوله تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) من سورة يونس إذ قال [واعلم أن هذا الكلام يحتمل وجوها الأول أنهم كلما سمعوا شيئاً من القصص قالوا ليس فى هذا الكتاب إلا أساطير الأولين ولم يعرفوا أن المقصود منها ليس هو نفس الحكاية بل أمور أخرى مغايرة لها] .

وهنا نحب أن نلفت الذهن إلى أن القرآن يعنى من الأسطورة القصة التى لم ترد فى الكتب السماوية السابقة عليه وليست بحال من الأحوال القصة التى لا أصل لها ولا القصة المخترعة ومن أجل هذا كانوا يقولون أساطير الأولين اكتتبها . أن لو شاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين .

على أن المسألة كما وضحت فى الرسالة تتفق وما قال به علماء أصول الفقه .

قال هؤلاء بأن فى الأديان السماوية عناصر خالدة ثابتة لا تتغير بتغير الظروف والمناسبات وهذه هى التى بقيت فى الإسلام . وفيها عناصر تتغير بتغير الظروف والبيئات وهى التى خالف فيها القرآن غيره من الديانات .

وقلت بأن المسألة الأدبية تجرى على هذا الأساس . عناصر